وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب
منشورات الطفل

ماكسيك والأصدقاء

دوشانا دراجولوفا- فاكتوروفا



ترجمة : د. غياث الموصلي
رسوم : تانيا كيالي

ماكسيك والأصدقاء

ماكسيك والأصدقاء

دوشانا دراجولوفا - فاكتوروفا

ترجمة :د. غياث الموصلي

رســـوم :تانيـا كيالــي

الهيئة العامة السورية للكتاب - منشورات الطفل

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٣م

ماكسيك والأصـــدقاء / دوشـــنا دراجولوفا - فاكتوروفا؛ ترجمة غياث الموصلي؛ رسوم تانيا كيالي. - دمشق الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٣ .- ٨٠ ص ؛ مص ؛ ٢٠سم

١- ٨٩١,٧ د ر ا م ٢- العنوان ٣- دراجولوفا - فاكتوروفا
٤- الموصلي

مكتبة الأسد



مرحباً بكل من يريد مصادقتي

اسمي ماكسميليان. إنه اسم صعب، ولهذا السبب يناديني الجميع ماكسيك. أزور المدرسة التي تقع مباشرة في الشارع التالي لشارعنا. وهذا الأمر له بعض الحسنات:

حين يكون الجميع في طريقهم إلى المدرسة، أكون قد صحوت من نومي للتو، وحين يجلس الجميع في مقاعدهم، أكون

ألبس حذائي حتى إنني أصل أحياناً بالضبط قبل رنين الجرس، حينها تتنهد المعلمة وتقول:

- أخ، يا مكسيك، يا مكسيك !

وحين يتكرر الأمر في اليوم التالي تسألني المعلمة بحزم:

- هل تسكن في الطرف الآخر من المدينة يا مكسمليان ؟

أعـرف في تلـك اللحظة أنها غاضبة منــي لأنها تناديني في العادة بـ: ماكسيك كما يناديني جميع أصدقائي .

إن غضبهـا يحز في نفسي، لهذا أعدهـا كل مرة بأني سوف أتحسن، ومع ذلك فإني أصيب أحياناً، وأفشل في أحيان أخرى.

سأتحـدث قليلاً عـن المدرسة. حين تسكنـون بالقرب منها فـإن لذلك سيئـات: إنهـا (**أمامكم**) حتـى ولو كنتـم أحياناً لا تريـدون رؤيتهـا، وهذا يحـدث عادة حيـن يكون يـوم الإنسان سيئـاً. مثـلاً حيـن يخطىء فـي كتابة الإمـلاء، أو حيـن ينسى طعـام العاشرة: العروس [1]، أو حيـن يُضيع سكين الجيب أثناء الفرصة.أحيانـاً تجتمـع مصيبتان دفعة واحـدة. ويحدث ذلك حين تكتشف المعلمة أنكم تحملون سكيناً صغيرة من المفروض ألا تكـون معكـم ! وهذا كله يجعـل الإنسان بعد تنـاول الغداء لا يرغب فـي ركوب الدراجة لأنــه حين ينعطف باتجـاه المدرسة ويراهـا أمامه تنقلب معدته . هذا ما يحدث لي في تلك الحالة.

(١) يُطلق العامّةُ على لفيفةِ الخبز كلمة: عروس

لحسن الحظ يوجد في شقتنا نوافذ تطل على الجهتين . إنني لا أرى المدرسة مـن غرفة الجلوس ولهذا فإني أنظر من هناك إلـى الخارج لا سيمـا حين يكـون صباحي سيئاً فـي المدرسة، ولكنـي أراها من نافذة المطبخ ، ومـن هناك أنظر إليها أحياناً وأعترف بيني وبين نفسي قائلاً :

- المدرسة سوبر (**رائعة**) ! .

هذا يحدث حين نكـون في ذات اليوم قد تغلبنا في لعبة كرة القـدم على طلاب الشعبة ب ! حينهـا يمكنني التفاخر والقول : لقد سحقناهم ٣:١٠!

تطـل نوافذ جارتي مارجريتكا أيضاً على الجهتين .لا أعرف من أي نافـذة تفضل النظر. إننا نزور الصـف نفسه، وبالرغم من أنها أنثى بدينة، إلا أنها فتاة طيبة، ولكن لا يمكنني أن أُظهر لها ذلك لأنها سوف تبدأ بالتباهي .

حين كنـت مريضاً كانـت تحضر لي كل يـوم بيومه واجبات المدرسـة، كما أعطتني مرة لصاقة تصـور ملك « لفي » ضمن إطـار ذهبي ! إنني أحتفظ باللصاقة في مكتبتي مدسوسة بين الكتب، أُخرجها أحياناً وأتطلع إليها .

عنـدي أيضاً أخـت صغيرة تـزور المدرسة ، ووالـدان . كم أتمنى أن يكون عندي كلب .

ولكنه مع الأسف غير موجود. تستهويني العديد من الأشياء. لقد صنعت في إحدى المرات قارباً حسب الإرشادات. صادفتني أثناء ذلك بعض الصعوبات . انفجرت مرجريتكا بالضحك وهذا جعلنـــي أظن بأني سأصاب بالجنون ! ولكني سوف أخبركم عن هذا الأمر في وقت لاحق .

إلى اللقاء الآن . أتطلع إلى لقائكم من جديد !

صديقكم ماكسيك .

يوم صعب



عليكم أن تتصوروا!
قارب شراعي شبه
حقيقي ! شبيه بذاك
الذي يُبحر في عرض
البحر أو في البحيرة
– إلا أنه أصغر بقليل.
كان «رادو» يمسكه بيده.
و«رادو» فتى من الصف
السابع ب ، يشارك في
مجموعة الطلاب المصممين. يسكن في شارعنا وأعرفه بالشكل فحسب . وقف أمام باب الصف مع صديقيه وأشار بفخر إلى إنجازه .

كان القارب رائعاً في الحقيقة! ليتكم رأيتموه ! إنه شبه حقيقي ! لقد صنعه حسب الإرشادات التي حصل عليها من إحدى المجلات .

سمعته كيف كان يشرح لأحد الصبية.

كل الذين مـروا بجانبـه تركـوا عليـه عيونهـم مـن شـدة إعجابهم.

حيـن غـادره صديقـاه اقتربت منـه ببطء ، ومدحـت قاربه الشراعـي. لـم أتكلّف ذلك لأني حقيقة أعجبـت به . سألته بعد ذلك إذا كان بإمكانه إعارتي الإرشادات .

– وهـل بوسعـك تصنيعـه أيهـا الفتـى الصغيـر؟ سألني وهو يضحك.

رفعت رمانتي كتفي وقلت : لا أعرف.

– حسنـاً ، قال لي بصوت عادي وأضـاف : سأحضرها لك في الغد، تعال إليّ أثناء الفرصة الكبيرة. يمكنك نسخها .

فرحت ، وشكرته وهُرِعْتُ مسرعاً إلى الصف.

– أيها الصبي ! سمعت من خلف ظهري صوتاً أنثوياً يناديني.

– ألا تعرف أن الركض ممنوع في الرواق ؟

كانت معلمـة غريبة من صف آخر. بطأتُ من سرعتي ولكني أدرت رأسي لأعرف إذا كان «**رادو**» سمعها وهي تؤنبني .

لحسـن الحـظ كان قد دخل إلى شعبتـه. كان الرواق فارغاً. دخلـت إلـى صفي ورحت أفكـر كيف يمكننـي تصنيع قارب في الغد .

فتحــت باب صــف «**رادو**» في اليوم التالي فــي أثناء الفرصة الكبيرة. رأيت تلميذِيْنِ كبيرِيْنِ يدفع أحدهما الآخر ، ولولا قليل لكنت تلقيتُ دفعة منهما.

- ما الذي يريده هنا ذاك الصغير؟ صرخ أحدهما .

لمحني «**رادو**» في تلك الأثناء .... – «**تعال**»، قال لي وسحب من حقيبته ورقة – اكتب بسرعة! شجعني.

كتبــت بسرعة قدر استطاعتي كــي لا يظن «**رادو**» أني حقيقة صغير، لحسن الحظ أكملت الكتابة قبل موعد رنين الجرس.

أسرعت إلى البيت في طريق عودتي من المدرسة. لحقت بي « **مارجريتكا** » وقبل أن أصل إلى البوابة كانت هناك.

- هل ستأتي لتركب الدراجة؟ سألتني.
- سأصنع اليوم قارباً شراعياً، يمكنك الحضور إذا أردت حين يصبح جاهزاً.

أغلقت الباب بقوة ، ورميت حقيبتي على الجدار وبسرعة بدأت في تحضير ما يلزمني من أدوات. لم أتمكن من الانتظار.

كنت في أثناء تحضيري للأشياء أنظر في الإرشادات وأكمل الجــرد: مجموعة الأخشــاب، مسطرة ، قلــم رصاص، مقص ، سكيــن، مساميــر، غراء، طلاء، حبل .... بدايــةً كنت أُجهز كل قطعة على حدة وبعد ذلك أقوم بتجميعها ...

كان عملاً سريعاً ولكني نجحت . القاعدة و الجوانب والصاري و الشراع .

ها ها ! لا يزال ينقصني قطعة اللاتيه (الخشب المضغوط) . لقد ذكروا في التعليمات ضرورة تأمين لاتيه قوي .

هُرِعْتُ إلى الكاراج . تناولت قطعة «**اللاتيه**» التي زادت عن حاجة والدي حين كان يُلبس جدار المعبر بالخشب .وزيادة في الحيطة أخذت معي المنشار الذي وجدته بعد ذلك ضرورياً جداً .

رسمت خطوطاً بقلم الرصاص على لوح اللاتيه مع المقاييس حسب التعليمات. سندت بيدي اليسرى قطعة اللاتيه بقوة إلى الطاولة، ورحت أنشر بيدي اليمنى. كان أمراً في غاية الصعوبة، أتعبت نفسي ما يقارب خمس دقائق حتى إنني أصبت بتشنج في يدي، ولكن دونما فائدة لأن المنشار تمكن من قطع عدة ميليمترات فحسب. ولكن لم أكن لأستسلم حتى أنجز ما بدأته، لا سيما أن كل شيء كان قد أصبح جاهزاً ! ولا بُدَّ من الراحةِ بُرهة .

جلست على المقعد. أليس من المفروض أن تكون قطعة «**اللاتيه**» أقل سماكة ؟ سألت نفسي. لم أتمكن من تذكر القطعة التي استخدمها « **رادو**» لأني رأيتها لحظة فحسب .

لا بأس ، سأتابع !رحت أنشر من جديد حسب الخط المرسوم. فككت زر قميصي العلوي، ومسحت جبهتي بكمِ قميصي، ولم أستسلم .

فــي تلــك اللحظة بالــذات رنــت مارجريتكا جرســ الباب .
اتسعت عيناها من منظري.

- هل حدث لك مكروه ؟ سألتني .

رأيت في مــرآة المعبر منظر وجهي الأحمــر. انتصبت غرة شعري بعد مسحي جبيني بكم قميصي .

- شيء ما يعطل عملي ، أجبتها .
- وهل تطبق التعليمات ؟
- وهل بإمكاني غير ذلك ! قلت غاضباً ثم أريتها ورقة التعليمات والخشبة الموجودة على الطاولة .

تناولت الورقة وراحت تقرأ بصوت منخفض .

كانت تنظر حيناً إلى الورقة وحيناً إلى الطاولة .

- إنك تنفذ التعليمات بشكل سيىء. قالت بعد لحظات .

لم يبق إلا تلك البدينة كي تعلمني كيف يصنع القارب !

- تنفذهــا بطريقة خاطئة، كررت كلامها ، انظر، لقد كتبوا في التعليمــات : تثبت بين الســاري والقاعدة قطعة قماش قوية، هنــا تنقص الكلمة تشكيلــة الفتحة علــى الألف.((يقال في السلوفاكيــة «**لتــكا**» وهي تعني لــوح لاتيه، و- لاتــكا (**أي لام طويلة**) وتعني قماش)) .
- لاتكا ؟ (**قماش**)

- لاتكا ! (**قماش**)

شعـرت كيف تتدفق الحرارة مـن وجهي حتى إنني لم أتمكن من بلع لعابي .

- ظننــت أن المطلوب هو الخشب كــي يكون القارب منيعاً ضد المطر، حاولت إيجاد الأعذار .
- شراع ، ومن الخشب ؟ استغربت مارجريتكا .
- إنني ...كما أظن ... تأتأت، ولكن ما الذي يمكنني قوله ؟! لا شيء يبيض الوجه . الكلمات تكون أحياناً بلا فائدة !
- هذا يمكن أن يحدث !
- ماذا إذاً !

أُفُقُ الفتيـات ضيـق، ويتعبـن أنفسهـن بالتفاصيـل ! نحن الصبيــة متسامون ولا نتعـب رأسنا بالصغائـر ! ولكن مع ذلك يجب الاعتراف أن مارجيتكا اكتشفت الخطأ بسرعة.

- تلبسين تي- شرت جديداً، قلت لها بسرعة . – إنه جميل . لم أشاهـد مثيلاً له من قبل ، - تابعت حديثي كي أحول الانتباه عن الموضوع باتجاه آخر . كفى لقد تحدثنا عن القوارب بما فيه الكفاية !

رفعـت مارجريتـكا عينيهـا الكبيرتيـن ببـطءٍ، وقالـت باستغراب:

ألم تنتبه إليه قبل اليوم؟ إنني ألبسه منذ أسبوع !
دورت عينيهـا مرة أخـرى في وجهي وقالت ببـطء إن عليها الذهاب للدراسة ...
يمكن القول إن يومي هذا في الحقيقة لم يكن سعيداً.

عن الحياة!

حـدث اليوم أمر غريب ! لـم يسبق أن حدث فـي صفنا أمر مثله مشابه. أمضينا الفرصة الكبيرة في باحة المدرسة ، وحين عدنـا إلى الصف بعد رنين الجرسـ، اكتشفت «مارجريتكا» أن علبـة أقلامها قد اختفت ! بحثت عنها فـي درج المقعد، وتحت المقعـد، بحثت في جميـع الزوايا حتى إنها أفرغت حقيبتها على الأرض فلربما تكـون العلبة فيها. لم تجدهـا هنـاك، ولا في أي مكان آخر.



اشتـرك نصـف طلاب الصـف في البحـث عنها، فتشنا فوق الخِزانة ، وخلفها، كما بحثنا في أُصُصِ الزهور.. لكأن الأرض انشقت وابتلعتها.!

حزنـت «**مارجريتكا**» لأن العلبـة جديـدة وعليهـا صـورة حصـان جميل، وقد تسلمتها هديةً في يوم السبت بمناسبة عيد ميلادها.

شــيء ما لفـت انتباهي، غمــزت «**ميشـا**» : هل تــرى هذِيّنِ الاثنين ؟

أومــأ « **ميشـا**» برأســه .كان «**يـورو**» و «**سـامو**» يجلســان في المقعـد وقد ألصق أحدهما رأســه برأس الآخر وكانا يضحكان مــن شيء، ويرسلان بين فينةٍ وأُخـرى نظرات استعلاء، ويعود أحدهمـا من جديد ليلصق رأسه برأسـ الآخر.كانا يتهامسان، وبدا أنهما يتسليان بشكل رائع .

انتبها لنظراتي .

آ، لا يستسيــغ المدافع الكبير جلستنـا ! قال «**سـامو**» بسخرية محاولاً إغاظتي .

المفروض بالبطل أن يجد حلاً ! كشر «**يورو**» .

- ها- ها - ها ، راحا يضحكان بصوت مرتفع .

المدافع حسـب تصورهما هو أنا. ولكنــي لا أعرف السبب . إنني و ما رجريتكا جاران، ونسكن في شارع واحد، وهل عليّ أن أسير على الرصيف المعاكس كي أصل إلى المدرسة ؟

- أغبياء ! صرخت منزعجاً لأنهما أخرجاني عن طوري .

رن الجرس فــي تلك اللحظة ودخلــت المُدِّرسة إلى الصف. حين اكتشفت ماذا حصل، وقفت مندهشة .سألت إذا كان أحد منا رأى علبة الأقلام. الجميع أجابوا: لا . قالت السيدة المدرِّسة

إنهـا تتمنى أن يفكر المخطـىء في فَعْلَتِهِ ويعلـن عن نفسه قبل نهاية الحصة .



علبـة الأقـلام حسـب ظني موجودة في حقيبة أحـد ذَيْنِـكَ الاثنينِ، ولكن ليـس بمقدوري الوقـوف واتهامهمـا لأنهمـا سيعتبرانـي فسَّـاداً ، وأكثـر مـن ذلك، مـاذا لـو كنت مخطئـاً !. شعـرت بالخـوف قليـلاً لأنهمـا ربمـا سيضرباني لاحقـاً. إنهما أكثـر المشاكسين في صفنـا. لو كنت مع «**ميشـا**» لكنا دافعنا عـن أنفسنا ولكنهما في اللحظة التي سيجداني فيها وحيداً سيضرباني دون رحمة.

بالطبع لـم يعلن أحد حتى نهاية الحصـة عن شيء. حددت السيـدة المدرِّسة موعـداً آخر، إذا لم نجد علبـة الأقلام حتى صباح اليوم التالي فإن عليها كتابة تقرير إلى الإدارة تشرح فيه الحادثة. بهذا الشكل أنهت حديثها .

لابد أنهما حتى الغد سيتخلصان من علبة الأقلام كي لا يبقى منها أي أثر !

يجب التحرك بسرعة ! ، الكلام سهل .ولكن ماذا وكيف !

كنت متيقناً من أن «**ميشا**» سيساعدني ، وبوسعي الاعتماد عليه، ومع ذلك لم أعرف كيف علينا أن نتصرف.

كنا نراقبهما. كانا يقفان في الطابور بانتظار طعام الغداء في مطعم المدرسة. نحن أيضاً كنا هناك للسبب نفسِهِ.

اتفقنا على مراقبتهما. علينا إدانة السارقين. حين سنكون مع «**ميشا**» يداً واحدة لن يقع لنا أي شيء .

المشكلة حدثت حين غادر «**يورو**» إلى البيت وبقي «**سامو**» في ملعب المدرسة. رمى حقيبته على المقعد وراح يلعب كرة القدم. إن علبة الأقلام على الأغلب لن تكون في حقيبته لأنه ليس غبياً ليتركها بهذا الشكل . اضطررت كي نتأكد من هوية السارق توزيع المهمات مع «**ميشا**» الذي بقي في ملعب المدرسة ليراقب سامو وحقيبته في حين أني لحقت بـ «**يورو**» دون أن ألفت النظر .

فجأة ظهرت «**مارجيتكا**» بالقرب مني. إما أنها توقعت شيئاً أو إنها اكتشفت خطتنا. وقفت أمامي وقفة جنرال ودون أسئلة لا فائدة منها أخبرتني أنها سترافقني ! لم أفهمها.

- إنــه ليس عمــلاً للفتيــات ! قلت لهــا بقسوة.خفــت المساس بشعورهــا ولكني كنــت مضطراً إلى ذلك مــن أجل حمايتها! غضبت مــن كلامي وشعرت بالإساءة، وذهبت مع صديقتين لها كانتا بانتظارها على خطوات. لم يكن الأمر عندي سيان ولكــن من واجب الفتيان فــي بعض الأحيــان التأقلم واتخاذ مواقــف تتناسب مع الأشياء الكبيرة! هنا كان الأمر في غاية الصعوبة .

يسكــن «**يورو**» في مكان بعيد يقع خلف الحدائق القديمة. إن البستــان القديــم الذي يمكن من خلاله الوصــول إلى بيت يورو والــذي لم يكن يدخله أحد؛ خُلق حَفْــرَاً وتنزيلاً لإخفاء الأشياء فيصعُبُ على عين إنسان رؤيتها.

كان يــورو أحيانــاً يضيع عــن نظري لأني كنــت أمشي بعيداً عنــه ومع ذلك بذلت ما يسعني كــي لا يراني. كنت أعرف مسار طريقــه. مررت فوق إحدى الحفر الموجــودة في السور ومشيت بيــن الأشجار إلى أن وصلت إلى حقل مليء بالأعشاب الكثيفة ، ومن هناك تابعت سيري .

راودنــي شعــور بــأن أحدهــم يتبعنــي، وكأن أحــداً يراقبني باستمرار ويسير في أعقابي. توقفت لحظة في مكاني ثم مشيت خطوة واستدرت إلى الخلف. أدرت عيني من اليمين إلى اليسار

وفي جميع اتجاهــات الحقل، ولكني لم أجد أحداً. وقفت لحظة من جديد كي أتأكد من خلو المكان ثم تابعت سيري.

كان صــوت حفيــف العشــب يرافقني مثل كابوســ الليل، هل أخــاف الريح ؟ حدثت نفسي كــي أتأكد أنْ لا شيء يحدث، إنني لست فتاة لأخاف ! تابعت سيري.

كنت قــد تجاوزت أربع حدائق من جهــة اليمين حين سمعت صــوت شخير خلف ظهري . تسمَّرْتُ في مكاني من شدة خوفي. وقفــت باستعداد، وحبست أنفاَسي. هــل يستحق الأمر مني كل هــذا الاهتمام ؟ أليس من الأفضل لي أن أعود أدراجي ؟ إن وقع لي مكروه فإني هنا وحيد، وحتى «**ميشا**» ليس معي !.

من جهــة أخرى سمعت مــن داخلي صوتــاً يوشوشني قائلاً: إن علبــة الأقــلام قريبــة مني، وتذكــرت في الحــال كيف كانت «**مارجريتكا**» حزينــة ... أردت أن أُسعدهــا وأعيــد إليها علبة أقلامهــا. تابعــت سيري بالرغــم من ذلك خلف يــورو. سرَّعت خطواتــي إلى أن لمحت طرف معطفــه يتحرك بين العشب على بضع خطوات مني . أنزل حقيبته عن كتفه، فتحها، ومد يده إلى داخلها و...

يا إلهي !

لم أخطىء !

لقد أخذ علبة الأقلام عن حق !

- انتبـاه ! أردت الصراخ ، ولكـن الصرخة بقيت محبوسة في حنجرتي. وحـدي لن أتغلب على يورو. رأيته في تلك اللحظة يرمـي علبـة الأقلام بقوة إلـى جهة اليميـن. حاولت تحديد المـكان الذي طـارت إليـه العلبـة. تمكنت من ذلـك. بهذا الشـكل يتحدثون فـي الأفلام. اتجهت نحـو المكان. لمحته. لقـد رماها «**يـورو**» عبر شريـط السياج القديـم إلى إحدى الحدائـق البعيدة التي كان فـي نهايتها الثانية كوخ قديم من طابق واحد سقفه من الخشب، بقيت علبة الأقلام معلقة بين أغصان الشجرة. تسلقت السور واتجهت نحو الشجرة.

عو، عو ، عو . . .

قفز قلبي إلى حنجرتي !

لقـد هُرِع من ذلك الكوخ القديم باتجاهي كلب غاضب أسود كبير ! كز أسنانه الكبيرة وراح ينبح . لحسن حظي كانت هناك الشجرة !

تسلقـت الشجرة إلى المكان الـذي لا يمكنه منه أن يطولني. أمسكـت علبة الأقـلام بيدي بقوة كي لا تسقـط . سأنتظر حتى ينتهي من نباحه الغاضب وبعد ذلك سأتسلق السياج من جديد. تخيلـت كيـف أني سأصل إلـى المدرسة في الصبـاح قبل بقية



الطـلاب، وأضع علبة الأقلام على مقعـد مارجريتكا. أحسست بالسعادة التي ستشعر بها حين ستراها! وبذلك لن يسخر مني أحد ويدعوني بالمغيث لأنهم لن يروني.

بالطبـع كل هذا صحيح ! ولكن كان عليّ في البداية أن أخرج من هذه الورطة !

جلســت على الشجرة ممسكاً بيدي علبة الأقلام ورحت أفكر بمــا سيحدث. بقي الكلب فــي مكانه. هل سيأتــي أحد لينقذني قبـل حلـول المساء؟ أم إني سأقضي ليلتــي هنا على الشجرة ؟ لــن أعود إلى البيت، وسيصدرون مذكرة بحث عني، والدتي لن تتحمل تلك المصيبة ...

الكلب الــذي كان قبل ثوان يقفز على قدميه محاولاً إمساكي من قدمي، هدأ فجأة وراح يتمشى بمحاذاة السور باتجاه اليمين يشتــم شيئاً فــي الأرض. هل ما أراه حقيقة أم إني أتخيل ؟ لا بد أنــي فقدت في هذا اليوم عقلي بعــد كل ما حدث لي! ولكن هذا الكلب حقيقة تركني وشأني .

- ماكسيــك، ماكسيك ! سمعت صوتــاً خافتاً يناديني. هل هذه هلوسات – من الخوف؟ فكرت. إن هذا يحدث عادة للإنسان في أوقات الشدة والخطورة.
- ماكسميليــان، هل أنت أصم أو مــاذا ؟! تسمَّرْتُ في مكاني . استدرت.
- تعــال بسرعة ! لا تنم هنــاك ! نادت عليّ «**كاتكا**». ولكن ماذا تفعل هنا ؟
- بسرعة، بسرعة ! كررت قولها .

بقفــزة واحدة تخلصت مــن الشجرة وبقفزتين كنت بجانب

السور، وبقفزتين تاليتين تسلقت السور. وقعت على الأرض، وفي تلك اللحظة بدأ الكلب ينبح عليّ من الجهة الثانية للسور. جلست علـى العشب وكاد نفسي أن يتوقف. من جهـة كنت أنا والسور، ومـن الجهة الثانيـة كان الكلب. كان أحدنا ينظر في وجه الآخر وكلانـا يلهثان. هو من شدة غضبه، وأنا دائماً من شدة خوفي .

لم تكن «**كاتكا**» وحدها بل وقفت هناك «مرجريتكا» و«**مونيكا**».



كنت لا أزال جالساً على الأرض بعيداً عن السور ما يقـارب المتر وأنـا أنظر إليهنَّ بعيـون شاخصة. هرع الكلب من جديد إلى المـكانِ نفسِـهِ الذي كان فيه مـن قبل، وعاد بعـد ذلك حاملاً شيئاً بين أسنانه ثم جلس تحت الشجرة .

كان يأكل ويتلذذ بعروسة «**مارجريتكا**» !

نهضتُ من مكاني.

سلمتُ «**مارجريتكا**» علبة الأقلام دون أن أنبس بكلمة .

المسابقة

يا للروعة، عندنا اليوم مسابقة !

لا يمكـن القول إني أحب المسابقـات بالرغم من أن الأمر لا يعـدو كونـه تسلية. إننا في يـوم المسابقة لا ندرس ! وهذا يوم رائع. إن مسابقة المحافظة تجري كل سنة في مدرسة مختلفة، والفائـز يسافر مـع إحدى المدِّرسات إلـى المدرسة التي تنظم التصفيات النهائية.

إنها أيضاً رحلة صغيرة، كنا على الدوام بعد المسابقة نذهب لزيارة مكان ما. نتنزه أو نزور مخزن الحلويات ...

إن الوضـع هذا العـام أسوأ بقليـل لأن التصفيـات النهائية سوف تجري في مدرستنا ومن ثم فلن تكون هناك رحلة، ولكني مع ذلك لن أشارك في الحصص.

امتحنتني السيدة المدِّرسة في الصباح من جديد في النثر، وكان الموضوع عن الصبي الهندي الذي فقد سكينته الصغيرة، وبعـد ذلك ذهبت إلـى الندوة حيـث ستنافسـ مجموعتنا. بدأ الأطفال من مدارس أخرى بالتوافد برفقة مدرِّساتهم. تذكرت



ثلاثة منهم من السنة الماضية . كان بينهم الصبي المتعجرف المدلـل «توماش» الذي حل في السنة الماضية قبلي في المركز الثاني، والذي كان يتبختر مثل كأس مليء بالخشخاش بعد انتهاء المسابقـة. أتذكر أيضاً فتاتين جلستـا الآن في المقعد الخلفي

ولكنــي لا أعرف اسميهما. امتلأت قاعة الدراسة بالمتسابقين. حضــر أيضاً أعضاء لجنة التحكيم الذين جلسوا خلف الطاولة. بدأت المسابقــة. بعضهم ألقى الشعر على نحو رائع. لا يمكنني حتــى اللحظة معرفة النتيجة، ولكني بالتأكيــد لا أريد أن أنتهي هــذه المرة بعد « توماشــ». لأنه سوف يتباهــى من جديد. جاء دوري بين آخر المتسابقين. شعرت بالخوف – إنني دائماً أشعر بالخــوف – ولكني تمكنت مــن تقديم المسابقــة. حين انتهينا جميعــاً، أعطونا شرائح من الخبز مع اللحــم والسلطة، إضافة إلى شراب عصير التفــاح في علب من الكرتون. غادرت اللجنة للتشــاور وبعدها أخبرونا أن النتائج ستعلــن في الحادية عشرة والنصف .

كانــت الشمس تسطع في الخــارج. وفي حين ذهبت غالبيتنا إلى باحة المدرسة جلست الفتيات في المقاعد ، وبعضهن رحن يقفزن فــوق حبل المطاط، أما نحن الصبيــةَ فقد اخترنا لعبة كــرة القــدم. انقسمنا إلــى مجموعتين. دسست شــراب التفاح بسرعــة في جيــب سروالي الأمامي ورحــت أركض خلف الكرة. كان « توماش» يلعب معنا. لعبنا بصدق وشجاعة. ربحنا ، ولكننا تعرقنا بعد ذلك مثل الفئران.

لقد تذكرت الآن – الفأر لا يتعرق. ولكنهم هكذا يقولون.

لقد تعرقت إذاً مثل فـأر. تبلل جسمي بالعرق. وشعرت كيف التصـق قميصي بظهري، كما أزحت غرتـي المبللة بالعرق إلى الطرف.

في تلـك اللحظة سمعناهم ينادون علينا كـي نعود إلى قاعة النـدوة. مضى الوقـت بسرعة كبيرة، اتجهنا نحو القاعة.



ولكـن «**توماش**» أثنـاء ذلـك لايـزال يتجـادل مع «**يورو**» فيمـا إذا كان الهدف الأخير صحيحاً أم لا. إذا كان صحيحـاً فـإن الأمر غيـر مهم لأننا في كل الأحـوال ربحنا. انهت بعض الفتيـات اللعب على حبل المطاط، وبعضهـن نهضن عن المقاعـد وتحركن باتجـاه المدرسة. كن يضحكـن كما هي العـادة بصوت مرتفـع. إن الفتيات يضحكن دائمـاً حتى لأتفه الأسباب. ركزت نظري على الفتاة ذات الشعر الأجعد ولكنها كشرت في وجهي.

لكزني «توماش» في تلك اللحظة. رفع حاجبيه وأسدل عينيه باتجـاه الأرض . لم يكـن على الأرض شيء. لـم أفهم. أومأ لي برأســه مرة ثانيــة وثبت عينيه على وجهي . نظـرت إلى الأرض مـن جديد : شرائط حذائي لم تكـن محلولة ، وسروالي لم يكن متسخاً على الركبتين !.

يا إلهي ! ماهذا الذي أراه ؟

إذا لم أمت الآن فإني لن أموت أبداً !

شراب التفاح !

شرابي ! لقد دسست علبة الشراب في جيب سروالي الأمامية ولكن علبة الشراب لم تتحمل رياضتي العنيفة.

شعرت بحرارة شديـدة في رأسي وأن لوني أصبح أحمر مثل سمكـة الجنبري (**سـرطان البحر**) كما أحسســت بجفاف تام فـي حلقي. كـم يناسبني العصير الآن ولكنه لـم يكن في العلبة الكرتونية. لقد انسكب بأكمله .

ولكن مالي والعصير !

الأســوأ كانت تلك البقعة الرطبــة على سروالي ! هل يمكنكم تصــور ذلك الوضع ؟ هــل تعرفون أين يقع الجيــب الأمامي في سروالي ...؟

هنــاك بالتحديد كانت البقعة ! كبيــرة و سوداء يمكن رؤيتها من بعيد . كما لو كنت ... تعرفون ما أعنيه ...

شعـرت أني سـوف أسقط من الخجـل. الجميع ينظرون إليّ و...

لم يبق للكلام فائدة !

هرعـت مسرعـاً على الـدرج إلـى القاعة وجلسـت بسرعة. أسنـدت مرفقـي إلى المقعـد ووضعت رأسي بيـن يدي. ركزت نظري علـى الحيز الضيق الموجود بيـن مرفقي، أغلقت شفتي بقـوة. أردت أن تبتلعنـي الأرض كي لا يراني أحـد بهذا الشكل، ولكن صوت رئيس اللجنة أعادني إلى صحوتي. لقد بدأ التقويم. أعلن الأسماء بدءاً من الفائز الثالث. «توماش» كان الثالث . لقد نافس في النثر وموضوعه كان حول الصبي الذي أنقذ الصقور الصغيرة من سطو الصيادين غيـر الشرعيين. لقد ألقى النثر بصورة جيدة، واستحق التقديـر بلا شك. تسلم الدبلوم واتجه نحو مقعده وقرأه في طريقه .

تناول رئيس اللجنة ورقة أخرى وقال من جديد :

استحق «**مكسميليان**» المركز الثاني في مسابقة الإلقاء ...

ماذا ؟

إنني لا أستحق التقدير ! أمر مستحيل .

هل بإمكاني الآن أن أنهض وأسير أمام جميع الحاضرين مع تلك البقعة الموجودة على سروالي ؟ أمر مستحيل !

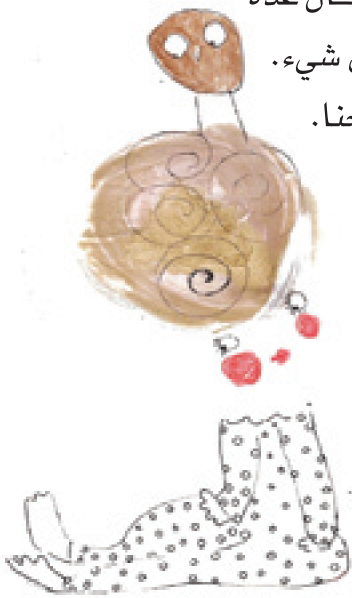
كرر رئيس اللجنة اسمي .

نظرت إليه. لا يمكنني الهرب بالتأكيد. مشى خطوة باتجاهي.

أخذت منه الشهادة وجلست بسرعة في مكاني .

انتهى من التقويم . قال عدة كلمات ، وانتهى بذلك كل شيء.

حمل كل منا حاجياته وخرجنا.



أمسكت الشهادة أمامي لتغطية البقعة.

يا له من شيء رائع حين يتمكن الإنسان من تحقيق النجاح، لقد أصبح الأمر أفضل لأني أمسك الشهادة في يدي وأغطي بها البقعة الوسخة .

أخيراً ذهبت إلى البيت. الطريق من المدرسة يمر بالقرب من المشفى حيث تعمل والدتي التي لمحتني من نافذة مكتبها

المطل علــى الشارع في الطابــق الأرضي. فَرِحــت لأني نجحتُ فــي المسابقة، وفكرتُ بأني أشاركهــا فرحتها لأني كنت أركض باتجاهها حاملاً الشهادة بيدي .

ربمــا يكون هذا ممكناً أيضاً – ولم لا يكون ! لاسيما أن هذا الدبلوم تمكن من القيام بوظيفة أخرى!

تعرفون بلا شك الوظيفة التي قام بها.

عيد الميلاد

اخيــراً جاء اليــوم الأخير في المدرســة! وبذلك يقترب عيد الميــلاد. ترافقت مع «مارجريتكا» من المدرسة. كانت الشوارع مغطاة بالثلج الأبيض الذي كانت خصلاته تتطاير في الهواء.

- هل أنت سعيد لاقتراب عيــد الميلاد ؟ سألتني «مارجريتكا» بعد قليل .

- بالطبع سعيد، ومن لا يفرح ! إن عيد الميلاد حدث رائع !

كان والــدي قد أحضر البارحة شجرة عيد الميلاد، واشترت والدتــي الطحين والبيض والسكر وسكــر الفانيلا أيضاً. رغبت فــي تنــاول قليلٍ منه ولكنهــا قالت سأعطيك منه حيــن أبدأ في الخَبْز كي لا توقعه علــى الأرض. أحَبُ الحلويات إلى نفسي تلك المصنوعــة مع الكريمــا. لأن مذاقها حلــو ورائحتها ذكية. أمي دائماً تضع لي الكريما في الصحن قبل أن تملأ به الكعكة.

حتى «**مرجريتكا**» قالت لي إنهم حَضَّروا شجرة عيد الميلاد، وجهزوا سمكة « **الكابر**» (٢) في البانيو .

- أعيــاد الميــلاد تتطلــب كثيــراً مــن العمــل، والتحضيرات ، أضافت .

(٢) نوع من السمك النهري يشبه السمك .المعروف بالبني .

- نعم، معكِ حق، قلت مؤكداً .
- ربما يمكننا أن نُساعد في شيء، فَكرتُ بصوت مرتفع.
- يمكننـا، وافقتُهـا الـرأي لأن «**مارجريتكا**» كانـت محقة في كلامهـا. الحقيقـة، هنـاك كثيرٌ مـن العمـل. والدانا سوف يكونـان غداً في العمل في حين نحن في عطلة العيد. يمكننا فـي هذا الوقت تزيين شجرة عيد الميلاد، نبدأ عندكم وبعد ذلك عندنا. معاً سوف ننجح.
- نعم، نعم، أفرحت الفكرة «**مارجريتكا**» .

بدأنـا العمل مباشرة في الصباح. عندهم في البداية . نقلنا زينـة الشجرة من القبو، وسحبنـا من الشرفة شجرة الصنوبر التـي كانت لا تزال محزمة بالحبـل. قمت بتثبيتها على القاعدة المعدنيـة ثم قصصـت الحبل و فردت الأغصـان. كانت رائعة الجمال ،كثيفـة ، تفوح برائحة عطرة. إن لأعياد الميلاد رائحة خاصة، حتى ولو أغلقتم عيونكم ستعرفون أنها جاءت.

فتحـت «**مارجريتـكا**» أثناء ذلك المسجلة علـى ترانيم عيد الميـلاد. تمكنا بسرعة وبيسر من تزييـن الشجرة، خلال وقت قصير تحولت الشجرة الخضراء إلى شجرة عيد ميلاد ملونة.

انتقلنـا بعد ذلك إلى بيتنا. قمـت أنا أيضاً في البداية بوضع أغنيات عيـد الميلاد لأنّهُ لا شيء أجمل من سماع تلك الترانيم

فــي أعيــاد الميلاد . تمكنــا بسرعة من إنجــاز عملنا وكل ذلك بسبب الخبرة التي اكتسبناها مع الشجرة الأولى. لم يبق أمامنا سوى وضع بعض الزينة ونكون بذلك قد انتهينا!

جلسنــا فــي الأرائــك المريحة ورحنــا نتأمل الشجــرة. كِلْتَا المديح لأنفسنا حسبما تيسر لنا ، وكنا أثناء ذلك نأكل البسكويت الموجود على الطاولة.

نهضنــا بعد ذلك لإجراء بعضٍ الترتيبات. جمعنا علب زينة عيــد الميلاد الفارغة ثم أخذت مفتاحي القبوين ونقلت كل هذه الأشياء إلى أسفلَ .

- سوف أُحضر أثناء غيابك عجينة الحلوى ، – قالت مارجريتكا .
- ماذا ؟
- سوف أختار أسهل وصفة حلوى، أجابت .

لم أكن أعرف أن «**مارجريتكا**» تجيد صنع الحلوى.

حيــن عدت إلــى البيت وجــدت «**مارجريتكا**» تخلط عجينة العسل.

- هل تريدين مساعدتي في شيء ؟
- لا ، في الوقت الحاضر. قالت لي .

جلســت علــى الكرســي بالقرب مــن طاولة المطبــخ ورحت أتصفح كتاب الوصفات.

– كُرات ! كُرات جوز الهند ! لقد وجدت وصفة لها .سوف أصنع كرات جوز الهند ! قررتُ ذلك .

– أنتَ ؟ نظرت إليّ غير واثقة من كلامي .

– بالطبع ! سوف ترين كيف ستكون لذيذة ! أضفت، لأن كرات جوز الهند لا يمكنها أن تكون غير ذلك. حَضَّرت ما يلزم. سوف أحشوها بحبات الكرز المعلبة.

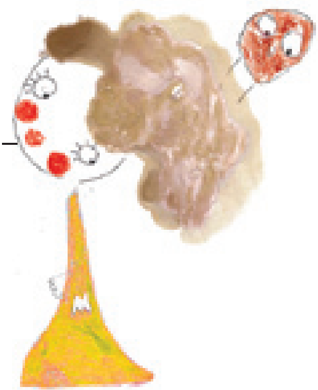


كانت «**مارجريتكا**» أثناء ذلك تُزين قطع عجينة حلوى العسل باللوز والفستق والزبيب كما صنعت منها بعض الوجوه. شكلها كان جيداً .

كان كل شيء في المطبخ يعبق برائحة زكية : من الفانيلا إلى قشر الليمون إلى القرفة ...كما سبق وقلت – إن لأعياد الميلاد رائحتها الخاصة .

قَسَمنا في النهاية كل شيء إلى قسمين، ورتبناهما في الصحون. ساعدتني «**مارجريتكا**» في نقل صحوننا إلى بيتنا.

- سيستغرب أهلك حين يكتشفون أنك تجيد تصنيع الحلوى.
- بالطبع، أجبتها، ولكن فكرة ما خطرت ببالي في تلك اللحظة.
- تعرفين، «**مارجريتكا**»، أُفضل القول إنك أنت من صَنَّع النوعين.



نظرت إلى وجهي متسائلة.

- يبدو لي، تابعت حديثي، أن تصنيع الحلوى ليس من عمل الصبية.

حركت رأسها مستغربة، ولكنها مع ذلك وعدتني. تبادلنا بعد ذلك التهاني بأعياد الميلاد وتمنى أحدنا للآخر هدايا كثيرة بهذه المناسبة ثم افترقنا.

لست مضطراً إلى إخباركم مقدار اندهاش والديّ. قالت والدتي إني أبرع صبيٍّ في العالم. إنها تقول ذلك دائماً حين تريد مدحي لسبب ما. لقد أعجبتها الشجرة كثيراً كما إنها مدحت «**مرجريتكا**» أيضاً.

وصلـت عمتي فـي اليـوم التالي مع عمـي وابن عمـي «بيتو» (**تصغيـر لاسـم بيتـر**). كانـت الحلـوى التـي صنعتهـا مـع «**مارجريتكا**» موجودة على الطاولة إضافة إلى ما صنعته أمي في المساء، كما إن عمتي أحضرت بعضاً منها. كالت عمتي المديح لابنها «**بيتـو**» لأنه صنع البسكويت المغطى بمربى الفريز وحده دون مساعدة من أحد!

استغرب الحاضـرون في الغرفة ما سمعـوه منها وشاركوها في كيل المديح لـ «**بيتو**».

قالت لهم والدتي إني أيضاً قمت بتزيين شجرة عيد الميلاد، وربما بعد سنة سأتمكن من تحضير الحلويات وحدي لأن الصبي البارع حسب قولها يعرف كل شيء!

لا - أو بالأحرى: نعم ...

بررررررررد

سقط الثلج كثيفاً ، وهذا يعني عندنا ، نحن الأطفال ، الفردوس بذاته، وفي اللحظة التي نغادر فيها المدرسة ونصبح في الشارع تتطاير كرات الثلج حولنا من كل الجهات حتى إن إحداها كانت البارحة مـن نصيبي. لقد أصابتني في ظهري بالرغم من أنني لـم أشارك في اللعب بكرات الثلـج. إن لعبة كرات الثلج في حد ذاتها تعتمـد على أن أحدهم يريد اللعـب والآخر لا يريد. حين يحاول الثاني التهرب أو يفشل في رد الضربة فإن الطرف الأول يشعـر بالسعـادة . هذا بالضبط ما وقع لـيَ البارحة حين تسلى معي طلاب الصف السابع . ولكني تمكنت في النهاية من إصابة أحدهم بضربة قوية.

أكثـر مـا يسعدنـي هـو رؤيتـي لرجل الثلـج فـي كل زاوية . كبيـر ، ومتوسط، وصغيـر ، ومائل، ومستقيم بقبعـة... يراودني شعـور بأنهم يلقون عليّ التحيـة، وينادونني: ماذا مكسيك ، من المدرسة، من المدرسة ؟

أنــا أيضاً أشعر برغبة قوية فــي الانحناء أمامهم بأدب، ورد التحيــة والقــول: نهاركم سعيــد يا رجال الثلج، كمــا ترون، من المدرســة، مــن المدرســة . سأنهي وظائفي بسرعــة وبعد ذلك سأكون معكم.

لــو أنــي تحدثــت معهم بصــوت مرتفــع فلربمــا كانَ سيظن بعضهــم أنــي فقدت عقلي. لــذا فإني أكتفي فــي بعض الأحيان بغمــزة من عينــي. إنهــم رائعون في وقفتهــم. أعتقد أن بعضهم يبتسم. بالتأكيد يبتسمون لي.

لــم يتساقط الثلج في اليومين الأخيريــن، لأنه أصبح يتكسر تحت أقدام المــارة، ويتسبب في انزلاق. المفروض أن ينتبهوا، الحذر مطلوب. أما في المنحدرات فكان الثلج رائعاً! الزحافات الخشبيــة كانت تنزلــق عليه انــزلاق الزبدة على الخبــز. التلة الكبيــرة موجودة خلف المدينة ولكن تلتنا قريبة، وهي تمتد من الطريــق نزولاً باتجاه أرض مسطحة، يليهــا منحدر قاس يصل إلى جدول ماء. الخطورة الوحيدة كانت لو أن أحدهم لم يتمكن مــن التحكــم بمقود الزلاجــة الخشبية أثناء هبوطــه المنحدر، ومــن ثم لم يتوقف في السهل، وهذا يعني أنه سينتهي في الماء البــارد. بررررد، الاستحمــام في ماء بارد كهذا لــن يكون أمراً سهلاً ! ولكن هذا لم يحدث لأحد حتى الآن .

سحبت زلاجتي ذات المقعد إلى أعلى نقطة في التلة وجلست عليها. ياللروعـة ! تمكنت من الجلوس عليهـا بسهولة ! تزلجت مـن أعلى المنحدر إلى أسفله وتوقفـت عند الأرض المسطحة. لمحـت وأنـا أصعد التلـة من جديد زيـادة في عـدد الزلاجات الخشبية وزلاجات المقعد الواحد التي كانت تتقاطع فيما بينها، وحيـن وصلـت إلى أعلى نقطـة في التلة وجـدت هناك صبيين صغيرين يستعدان لركوب زلاجتهم الخشبية .

أردت تجريـب التزلـج فـي وضعية الركوع فـوق الزلاجة. جلست على ركبتي، وأسنـدت يدي إلى الأمام، وانطلقت باتجاه السفح .

دورت رأسي باتجاه الطرف الأيمن فور سماعي صراخاً آتياً مـن خلفي. كانـت زلاجة الصبيين تتجه نحـوي بسرعة كبيرة. قفزت مـن زلاجتي باتجـاه الجهة اليسـرى لِأَجْتَنِـبَ التصادم معهم، ثم استدرت وارتميت على الثلج.

- ياللشيطانيّنِ، كادا يتسبّبان بكسر يدي!

تابعت زلاجتى انزلاقها نحـو أسفل السفح. حين وقفت لأرى ما حدث لها، سمعت صراخاً جديداً و بعدها صوت ارتطام !

- ما الذي يحدث هنا اليوم ؟!

استدرت، ولكن الأمر كان أسوأ مما ظننت .

لقد سقط الولدان الصغيران في الجدول !

ثلاث قفزات وكنت أقف على طرف الجدول . قفزت خلفهما في الماء، ومددت يداي باتجاههما . لم تكن المياه عميقة . كان أصغرهما قد سقط ووجهه إلى الأمام ولهذا تبلل بأكمله . اقتربت منه ، وأمسكت به من شيء، ربما من معطفه وسحبته. سعل، وبكى وفعل الثاني ذات الشيء. أمسكت بهما كليهما من معطفيهما، وشددتهما إلى طرف الجدول. كانت سراويلنا ومعاطفنا قد امتلأت بالماء وأصبحت ثقيلة مثل السنت (**وزن إنكليزي**).



كل خطوة كانت تعني لنا مزيداً من التعب، كانت جزماتنا تنزلق على الحجارة الملساء الموجودة في قاع الجدول . سحبتهما إلى الأمام وكنت أنزلق مثلهما . وصلنا في

النهايـة أو بشــكل أدق وقعنا علــى الشط. أخذت نفســاً عميقاً، وباشرت سحبهما باتجــاه السهل الذي غطته الثلوج. لمحت في تلك الأثناء سيــدة تُهَرَعُ باتجاهنا، كانت ترتدي قميصاً بأكمام قصيــرة وتنتعل حذاء عادياً. إنهــا والدتهما وقد شاهدت كل ما حدث من نافذة البيت.

أحــاط بنــا المتزلجون مــن كل صــوب وراقبوننــا بصمت . كمــا أن والدتي حضرت، لم أفهــم المصادفة التي جعلت جميع سكان الشــارع يتطلعون من نوافذهــم فــي تلك الأثنــاء.! بــدأت أشعر بالبرد الذي اصطكت أسناني من شدته . حين دخلــت إلــى البيت قامت والدتي بتجفيف جسمي وغطتني بلحاف الريشــ ثــم جهــزت لــيَ الشــاي الساخن.



لــو كان أحدهم قد طلب مني أن أغوص في الجدول لرفضت حتــى ولــو أعطاني مليــون ! في مياه بــاردة كتلــك ؟! يستحيل ! ولكــن رؤيتــي لهذين الطفلين فــي الماء جعلتنــي أشعر بواجبي نحوهمــا ، حتى إني لــم أفكر لحظةً واحــدةً إذا كان عليّ خوض تلــك المخاطرة أم لا ، أوفيما إذا كان من الأفضل لو بحثت عن غصن شجرة أمده إليهما ليتمسكا به ومن ثم أسحبهما الخ... الخ ..وهل يمكننـي ذلك . لم يكن هنـاك وقت للتفكير !

لقد تذكرت الآن كلام والدي : فكر في البداية ومن ثم افعل، وليســ العكس. هذا ما كان يقوله لي حيــن أُخُربُ شيئاً ما. لكن هناك حالات لا يمكــن للإنسان فيها أن يفكر ، وهذا ما اعترف به والدي لأنه نعتني بالبطل .

أحدهم في المساء دق جرس بيتنا. كان والد الصبيين الذي أحضر لي علبة كبيرة ملأى بالسكاكر. قال هو أيضاً بأنني بطل. كنت في حينها مستلقياً في السرير تحت لحاف الريش، وكان ذلك للمرةِ الثانية في ذلكُمُ اليوم. إنني أستلقي بسبب الحرارة. لقد أعطتني أمي دواء ضد الحرارة وأحضرت لي كوب شاي جديداً.

إننـي أجلس إذاً فــي السرير وجسمي مغطى بلحاف الريش ، أنظر أمامي وأشرب الشاي الساخن .

أعتقد أن البطولة شيء ممل .

ولكني مع ذلك أشعر بالفرح لأن شيئاً لم يحدث للصبيين .

اختطاف ؟

إننــا ندرس تاريخ سلوفاكيا في هذا العــام. أخبرتنا السيدة مدرِّستنــا أننا سنذهب فــي نزهة دراسية نــزور فيها المغارة، وأحــد المتاحف وأشياء أخــرى. أكثر ما كنا نتلهف لرؤيته كانت المغارة التي فرحنا بخبر زيارتها أكثر من أي شيء.

- سيروا ببطء أحدكم خلف الآخر، وانتبهوا كي لا تزِلَّ أقدامكم، ذكَّرتنا السيدة المدرِّسة قبل أن ندخل إلى باطن الأرض.

ذهلنــا من رؤيــة النوازل الكبيــرة التي تشكلت كمــا يقال من قطرات الماء عبر ألوف السنين. بعضها خرج من الأرض وبعضها الآخــر نزل من السقف. كانــت شيئاً رائعاً وبدت لنا في كل لحظة مختلفة. تمشينا بمحاذاة النوازل التي وجدناها شبيهة بمخلوقات غريبــة، وبجــوار كهوف المغــارة التي بدت لنا فيهــا النوازل مثل أشجــار مسحورة قــام أحدهــم بتحويلها إلى صخــور. أعتقد أن بإمكانهم هنا تصوير فيلم أطفال عن بلاد السحر.

لــم نتوقف عــن الحديث عن كل ما رأينــاه حتى بعد خروجنا من المغارة.

- هل نحن هنا جميعاً ؟ سألت السيدة المدرسة .



أجبناها، بـ نعم.

صعدنا إلى الحافلة، وجلسنا في مقاعدنا إلى أن وصلنا المدينة. لقد تشوق الجميع حتى إلى التبضع.

مشينــا من مكان وقــوف الحافلــة باتجاه الساحــة، وحين وصلنــا إلى هنــاك منحتنا السيــدة المدرسة فرصــة للتجول والتبضــع علــى أن نلتقي بعــد ساعة بالقرب مــن مكان وقوف الحافلة .

تمشيــت برفقة «**ميشا**» طوال الوقت. دخلنــا في بداية الأمر إلى مخــزن ألعاب الأطفال وألقينا بعد ذلــك نظرة على مخزن بيــع الأقراص الليزرية – تسي دي –، ومخــزن بيع لوازم تربية الحيوانات. اشترينــا بالقرب من النافورة « هوت دوك » إضافة إلــى شراب البرتقال. كانت الساعــة قد قاربت الواحدة إلا ربعاً حيــن تحركنا ببطء عائدين باتجــاه الحافلة حيث وجدنا هناك بعضــ الفتيــات الجالسات علــى المقاعد واللاتي كــن يتبادلن الحديث فيما بينهن. وصلت بعد ذلك السيدة مدرِّستنا و مدرِّسة الشعبــة ب، وبالتدريج وصــل الجميع. كان ينقصنــا « ماتوش » فحسب، ولكن الساعة لم تكن بعدُ الواحدة ظهراً.

تحدثنا فيما بيننا عن الأشياء التي اشتريناها.

- لا بدَّ أن يكون على الدوام مشاغبون لا يعرفونَ التقيد بالوقت المحدد. قالت السيدة مدِّرسة الشعبة.

سألــت مدرِّستنا بعد ذلك عن التلميــذ الذي كان برفقته في المدينة. أجابها «**فلادو**» و«**ميرو**» بأنهما رافقاه إلى مخزن بيع الأشغال اليدوية ولكنــه اشتكى من الظمأ، وذهب ليشتريَ شيئاً

مــن البوفيه. كان مــن المفروض أن يلحق بنــا ولكنه لم يفعل . حركت مدرستنا رأسها مستغربة .

كانــت الساعة قد تجاوزت الواحــدة والربع. حتى السائق لم يكــن هناك ، ولكن ذلك لــم يكن يؤرقناً لأن الكبــار لا يمكن أن يضيعوا بهذه السهولة ، وغيرَ ذلك، كان عدم وجوده أمراً مريحاً لأنه بالتأكيد سيتذمر من انتظار التلميذ المتأخر.

لــم تعلــق مدرِّستنــا بشيء ولكــن مظهرها كان يوحــي بأنها حانقة على «**ماتوش**». أظن أنه ضاع في مكان ما.

- وماذا لو أنه كسر ساقه وهو جالس الآن على أحد الأرصفة ؟ قالت إحدى الفتيات.
- لماذا تريديننا أن نصاب بالذعر؟ رد عليها «**يورو**» بحدة.
- لا بد أن شيئاً قد حدث له ... علق آخر .

أظــن أن غالبيتنــا شعــرت بالخوف عليه. حقيقــة، ربما وقع له مكروه.أضافــت مدرِّستنا بصوت منخفــض: دعونا لا نرسم الشيطان على الجدار .

بكلمــة واحــدة بدا كل شيء لنــا شبيها بما يحــدث في فيلم سيّئٍ .

مرت الدقائق ولا أثر لـ «**ماتوش**» . تجمعنا حول المُدرِّسة. بقينا صامتين كي لا نزيد في أجواء التوتر .

فــي تلك اللحظة لمحنا سائقنــا ، ووجدناه يقترب من موقف السيارات من الناحية المعاكسة.

كان يحمل كأساً في يد، وشيئاً صغيراً في اليد الثانية .

تصــوروا ! إننا نعيش هنا لحظـات رعب بينما هو يتسكع بين البوفيات !

وفي اللحظة التي اقترب منا ، سأل مدرِّستنا:

- ماذا ؟، هل هو على قيد الحياة ؟.

- تصرّفـت مدرِّستُنا كما لو كان سيغمى عليها من هذا السؤال الغبي !

كيــف يمكن لأحدهم أن يتصرف بهذا الشكل، وكأن شيئاً لم يحـدث ! لقد ضاع«**ماتوش**» وها هو يذهب بـكل برودة لشرب الشــاي وكأن شيئــاً لم يكــن ! ربما لم يرزق بــأولاد ، ولا يعرف معنى المسؤولية !

أو ربما... ماذا لو كان إنساناً شاذاً ، وفعل شيئاً بـ ماتوش؟! لقــد سبق ورأيت شيئاً مشابهاً في التلفــاز. ربما يكون «ماتوش» قد عاد قبل الجميع إلى الحافلة و قام ذلك السائق باستدراجه، وانفرد به ... يا إلهي ! من يعرف إذا كان «ماتوش » لا يزال على قيد الحياة ...!

نحرت «**ميشا**»:

- ألا يبدو لك مشكوكاً في أمره؟

أومأ «**ميشا**» برأسه.

- ماذا يمكننا أن نفعل؟!

كان السائـق في هذا الوقت قد وصل إلى الباص. ضغط على كبسـة فتح بـاب الحافلة . وقفنـا جميعاً ننظر إليـه. صعد إلى الباص، وقف على الدرجة الأولى وأدار رأسه باتجاه مدرِّستنا.

- إنه هنا، نائم، قال بصوت منخفض .

تطلعـت في وجـه «**ميشا**»، وتطلـع «**ميشا**» أيضـاً في وجهي. يقال أحياناً إنه نام .

سمعنا ضربات قلبينا .

صعـد السائق درجـة أخرى ولحقت بـه مدرِّستنا. استدارت نحونا وهي على الدرج الأول وقالت :

- إنه هنا! نائم.

سمعنا السائق بعد ذلك يروي لمدرِّستنا:

حين تفرقتم، ذهبت إلى البوفيه لشراء الطعام، وحين عدت أدراجـي رأيتـه جالساً على ذلك المقعد. بـدا مثل دجاجة بللها المطـر. هل استنفد يا ترى كل محارم جيوبـه؟ سألته. أجابني بأنـه يشعر بالمرض. بـدا وكأنه أصيب بنوبة بـرد، وكان وجهه يشتعـل، و زعم أنـه كانَ يشعر بألم في رأسـه. لمست جبهته —

وعرفت ! ياإلهي إنها ساخنة! تعرفين، عندي ثلاثة أطفال ولدي خبرة. لـذا ساعدته وجعلتـه يستلقي داخل الباص في المقعد الخلفـي وغطيته بتلك البطانية العتيقـة. سارعت إلى صيدلية قريبـة حيث أعطوني هـذا العلاج وأكدوا أن أعطيه منه نصف حبة. أراها السائق العلبة التي كان يمسكها بيده.



أومـأت مدرِّستنا برأسها عرفانـاً بالجميل. أخذت منه علبة الدواء والشاي وذهبت إلـى المقعد الأخيـر حيـث كان يستلقي «**ماتوش**».

جلس السائق في مكانه. صعد الباقون بعد ذلك إلـى الحافلة وكلٌّ جلس في مكانه. صعدت مع «**ميشـا**» بعد صعود الجميـع. حين مررت بالقـرب منه، شعرت بالحرج لأني ظلمته ووصفته بالشرير. أحزنني ذلك، ولكن كيف لأحد منا أن يخمن ما حدث!

جلسنا، سحبت السكاكر من جيبي وانحنيت باتجاهه.

- تفضل، قلت له بصوت منخفض .

فكر قليــلاً، وربما استغـرب، ولكنه ابتسم بعـد ذلك. تناول قطعة وشكرني.

شعــرت بالراحة. أزحت على الأقــل عن صدري ذلك الشعور بالخجل لأني ظلمت إنساناً بريئاً.

جلســت مدرِّستنــا طوال الطريق يجانــب «ماتوش». يبدو أن حبــة الدواء قد أثبتت فعلها. حين نزلنــا من الباص كان وضعه أفضل.

مــرت الرحلة لحسن الحظ بسلام، كان من الممكن أن تكون أسوأ. كل شيء ممكن في هذه الأيام!

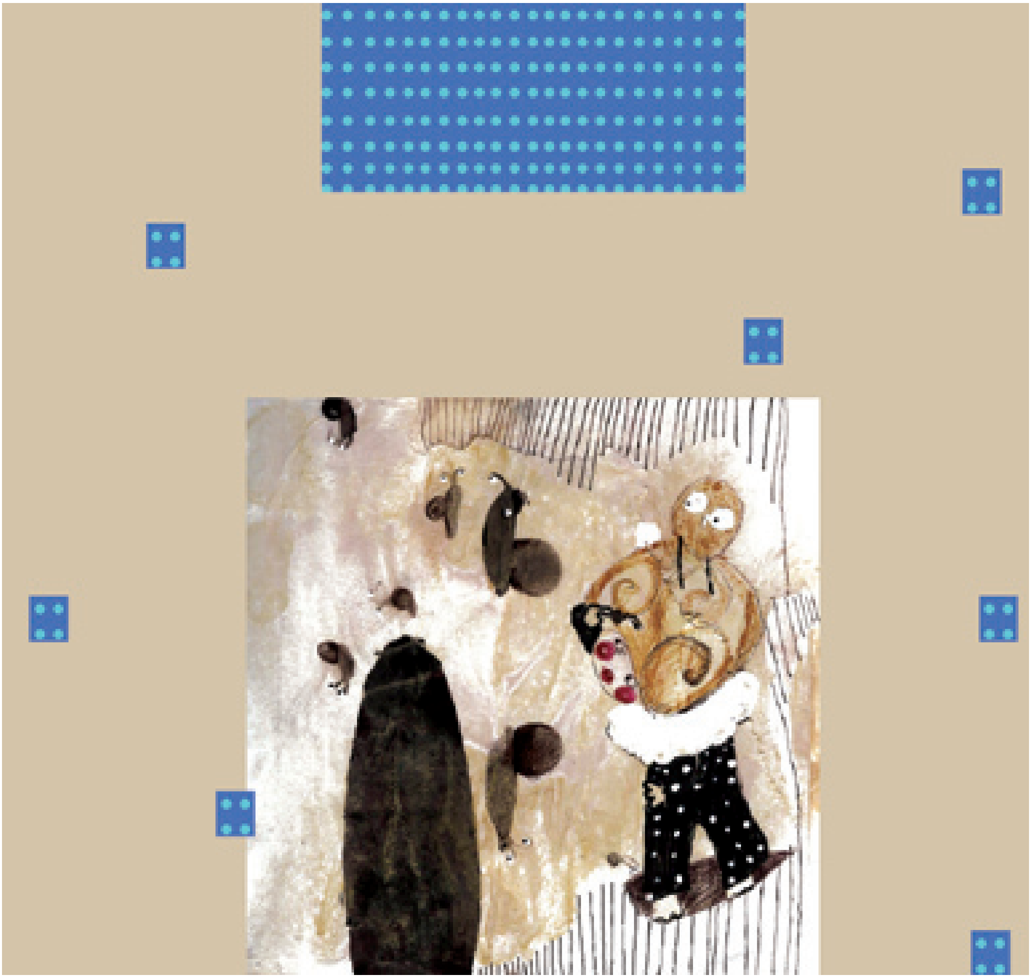
أناس من خارج كوكبنا

وقفت مع «**فلادا**» بانتظار «**ميشا**». حين سيأتي سوف نذهب لجمع القضبان كي نصنع كرباجاً .

- لا قضبــان ياسادة ! هنا تحدث أشياء ستجعلكما تندهشان !

كان «**ميشا**» قد وصل إلينا وهو يلهث على آخر نفس.

- ماذا، وهل تطبقت السماء على الأرض. ؟
- أناس من خارج كوكبنا!
- خــارج ... مــاذا ؟ انفجــرتُ بالضحك وشاركنــي « ميشا»، وسُمع ضحكنا على طول الشارع.
- أناســ مــن خارج كوكبنــا ، صاروخ، خــارج المدينــة ... كان يرتعد خوفاً.
- أنت الوحيد من الخارج ، وربما ، أضفت بعد ذلك ، يالها من سخافة !
- إننــي في الحقيقة لا أتخيل شيئاً من عندي. الفتيات ذاهبات إلــى هناك، وربما سيسافرن إلــى كوكب آخر. سمعتُهن وهن يتناقشن. لقد أخبرت «**مارجريتكا**» «**مونيكا**» بأنهما ذاهبتان بعد تناول طعام الغداء لرؤية الصاروخ! الموجود خارج المدينة!
- هل تظن أن ذلك أمر حقيقي ؟ سألت «فلادا» .



رفع رمانتي كتفيه .

لم أقتنع بهـذا الكلام بالرغم من أني قرأت أن بعض الناس لمحوا فـي السماء مركبات تنتمي إلى حضـارات أخرى. رأيت أيضاً في الأفـلام أناساً جاؤوا إلى كوكبنا. علينا أن نأخذ الأمر بكثير من الحذر، ومع ذلك لا يمكننا رفض الفكرة تماماً .

- يجب أن أبقيهم تحت بصري وأن أعرف المكان الذي سيذهبون إليه .

وقفت «**مرجريتكا**» مع «**كاتكا**» بالقرب من الحديقة وكانتا بالتأكيد بانتظار إحداهن . نعم ، بعد لحظات جاءت «**مونيكا**». تحركن باتجاه الجدول وتمشين بعد ذلك في طريق يؤدي إلى خارج المدينة .

- أليس من المعقول أن يكون «**ميشا**» محقاً في كلامه ؟

هل يلتقين حقيقة مع مخلوقات من كوكب المريخ أو مع غيرهن ؟ إنهن يعرفن أين يخفين الصاروخ وربما استغنوا عنا؟ لم يخبرننا بشيء ؟!

يالهن من خبيثات ! ما أخبثهن !

تحركنا وراءهن دون أن يشعرن بنا. سنتمكن بالتأكيد من معرفة ما يحدث !

تعرَّج الطريق الذي كان العشب الجاف يغطي طرفيه ، ولهذا لم يتمكنَّ من رؤيتنا .

- ماذا لو اختطفتهن تلك المخلوقات الغريبة ؟ شغلت رأسي تلك الفكرة.
- رفيقاتنا؟ وهل سيعجبونهم؟ كشر «ميشا» .
- كنماذج أرضية، أيها الغبي !

- أها...

سرَّعنا من خطواتنا .

يضيق الجدول بالقرب من شجرة الكستناء بشكل كبير.

خرجنا من خلف السياج باتجاه حقل صغير. وقفت الفتيات الثلاث على طرف الجدول. كن ينظفن أحذيتهن من الطين العالق



! لم يكن هناك أحد ! لا في القريب ولا في البعيد ...

- وما هذا الذي أراه ؟

صرخ «**فلادو**» .

- إنها صنوبرة راكيتا (**شاحبة**) ! قفزتُ على ميشا مثل مذنب رأس السنة .

- هل سمعت ؟ تابع «**فلادو**» كلامه لـ ميشا . vrba rakyta،

إنهـا [٣]صنوبره من نوع راكيتا وليســت صاروخ raketa؛ إنها Ra-ky –ta أيها الغبي !

فـي تلـك الأثنــاء انتبهـت الفتيــات إلــى وجودنـا وسألتنـا «**مرجريتكا**» :

– وأنتم إلى أين أيها الشباب ؟

سحبت نفساً عميقاً وقلت :

– لجمع العيدان أيتها الفتيات، لجمع العيدان. لقد اقتربت الليلة الكبيــرة، سنجمعها لنتمكّــنَ من ضربكن علــى مؤخراتكن، أضفت .

ضحكن من كلامي وتابعن قطفهن.

لــم يكن أمامنا، نحن الثلاثة ســوى أن نذهب لجمع العيدان ... كي نخفي خيبتنا !

---

(٣) – راكيتا – تعني شاحبة وتكتب بالسلوفاكيه rakyta في حين راكيتا التي تعني صاروخ تكتب raketa.

دفتر الأعشاب

كان يومي سيئــاً. لو عرفت أن كل شيء سينهار لكنت فضلت المرضـ وعدم الذهاب إلى المدرسة، وهـل بإمكاني البقاء في البيت بتلك السهولة؟ لا يمكنني، إن ذلك من رابع المستحيلات، ولكن لماذا؟ علماً أنني لم أعرف مسبقاً ماذا سيحدث، بل على العكس كنت تواقاً للذهاب.

كان علينــا أن نحضـر معنا إلى حصة العلـوم دفتر النباتات الربيعية. عملت ما يسعني حتى تمكنت من قلع النبتة من جذرها. جربـوا وستدركـون الصعوبة التي ستجدونهـا حين تريدون قلع النبتة من طرفها الأخير. لقد خربتُ العديد منها في ساقها وأنا أحاول اقتلاعها وكان جذرها دائماً يبقى في الأرض. ولكني لم أستسلم وبدلاً من ذلك توصلت إلى ما يسمونه اليوم «نو- هاو». اكتشفـت أن الأمر يحتاج إلى أرض رطبـة، ويجب سحب النبتة بلطف، لا بالقوة ولا بالنعومة، شيء بين الاثنين.

إن دفتـر النباتـات الصحيـح يجـب أن يحتوي علـى النبتة بكاملها، بدءاً من جذرها ونهاية بأوراقها، وبعد ذلك يجب تدوين اسم النبتة، وتاريخ قلعها من الأرض، ومكان وجودها. كنت أدون



بجـوار كل نبتة اسمها باللغــة اللاتينية، ألصــق النبتة السليمة بشــكل كامل علــى الدفتر وأغطيهــا بورق السيلوفــان الشفاف. بحيث تكون جميع تلك المعلومات مكتوبة تحت النبتة.

أعتقـد أن دفتر نباتاتـي كان ذا مظهر احترافي، ولهذا كنت فرحاً لأني سأعرضـه على السيدة المدرسة. كنت أعرف بأنها ستكون مسرورة .

حصـة العلوم الطبيعية كانـت الثانية في ذلك اليوم. وضعت الدفتر والكتاب على سطح المقعد، وكنت قد دسست في الصباح دفتر النباتات بينهما كي لا يتأذى في الحقيبة .

حيـن قررت إخراجـه الآن، لم أجـده في مكانه. يـا لرأسي الخشبي ! لا بد أن يكون في كتاب التاريخ. أخرجت كتاب التاريخ مـن محفظتي، ولكني لم أجده هناك أيضاً. فرغت حقيبتي بكل مـا فيها على الأرض، ورفعت بيدي كل كتاب وكل دفتر على حدة وهززته، ولكنـي لم أعثر على دفتر النباتات.

هـل فقدت عقلي، لقـد وضعته فـي الصباح بيـن الكتب في الحقيبة ! ولا أعرف أني مصاب بالهلوسة. حملت من جديد كل كتاب ودفتر، وفتحت كل الصفحات، وفتشت فيها ولكن لا شيء. لا شيء على الاطـلاق ! فتشت أيضاً كي أتأكد في جيب حقيبتي الخارجـي الصغير حيث تعودت وضـع عروس العاشرة. ولكن لا شيء أيضاً !

رن الجرس. بـدأت السيدة المدرسة الحصة بالطبع بدفاتر النباتـات. سلّمَ جميع الطلاب دفاترهم. أنـا لم أفعل .رمقتني المدرسة بنظرة حادة.

- لقد وضعته في الصباح داخل حقيبتي، قلت لها.

كنت أقف بالقرب من الطاولة، وقد تعرقت يداي من اليأس. لم تصدقني السيدة المعلمة.

كانت النتيجة أني تسلمت ملاحظة.

جلست على المقعد. بما أن السيدة المعلمة أعطتني الملاحظة فهذا يعني أنها لم تصدقني. ولأنها لم تصدقني فهذا يعني أنها صنفتني بين الكاذبين !

هذا ليس بالعدل ! أحسست بشي يضغط على حنجرتي، بلعت لعابي بصعوبة، وكززت أسناني بقوة كي أهدأ. هل سبق وعشتم تلك الحالة ؟ إنني لا أتمناها لأحد.

بدت لي تلك الحصة طويلة بلا نهاية، وكذلك الحصة التي تلتها. دعاني «**ميشا**» أثناء الفرصة إلى البوفيه، ولكني رفضت دعوته. ذهب وحده. كان قد تبقى علينا حضور حصة الرياضيات. رن الجرس، وعاد «**ميشا**» في تلك اللحظة إلى الصف. وقف أمام مقعدي ووضع عليه دفتر النباتات ! اندهشت. نظرت إلى وجهه ولم أفهم ما حدث .

- لقد أعطتني إياه «**مارجريتكا**» مع «**كاتكا**» الآن، قال لي. وفي تلك اللحظة دخلت السيدة المدرسة إلى الصف وأعلنت بدء الحصة.

- «**مارجريتكا**» مع «**كاتكا**» ؟ أوه، لا ! لا يمكن أن يكون هذا حقيقة ! لا أُصدق أنهما فعلتا ذلك ... إنهما لاتقومان بتلك الألاعيب الغبية. هما لا .
- أعطه للمدرسة! لكزني «**ميشا**» .
- وماذا أقول لها ؟ وما الفائدة بعد أن تسلمت الملاحظة ، ولكن كون أحدهم قد فعل بي ذلك، وكنت في الأصل أعتبره مخلصاً، بدا لي هذا أسوأ بكثير من الملاحظة التي سجلت في كتاب التلاميذ!
- هل تسمعني ؟ ضعه على الطاولة ! هل أنت نائم أم ماذا ؟ قال لي «**ميشا**» من جديد .
- ما الذي يحصل أيها الأولاد؟ صرخت علينا السيدة المدرسة.

نهض «**ميشا**» في تلك اللحظة من المقعد وسحب دفتر النباتات من أمامي وسلّمه للسيدة المدرِّسة.

حركت رأسها مستغربة لما يحدث.

لقد وجدته الفتيات، شرح «**ميشا**».

كنت مع «**كاتكا**» في غرفة تبديل الملابس ورأينا قسماً منه تحت المقعد، أضافت مباشرة «**مارجريتكا**» .

- ظهر قسم منه تحت المقعد ؟ كررت السيدة المدرسة تلك الجملة غير مقتنعة، كيف وصل إلى هناك ؟

رفعت «**مارجريتكا**» رمانتي كتفيها .

- لاأظن أنكن تمزحن مع زملائكـن ؟ علقت السيدة المدرِّسة مستغربة .

نحـن ؟ سألتها «**مارجريتكا**». إننا لـم نضعه هناك ، وكل ما في الأمر أننا وجدناه هناك.

- تحـدث هنـا اليوم أمـور غريبة ! أكـدت السيـدة المدرِّسة، وكانت منزعجة أيضاً.

جلس الجميع صامتين في مقاعدهـم. وقف «**ميشا**» ووقفت «**مرجريتكا**» و«**كاتكا**»، وحاولوا إقناع السيدة المدرِّسة بأنهم لا يعرفون أي شيء .

- أنـا أيضـاً لا أفهـم شيئاً . لقـد تشوش ذهني. إمـا أن تكون مؤامرة أو ... لا أعرف .

كتبـت السيدة المدرسة تحـت الملاحظة أن خطأ قد حدث. لم يعد يهمني اليوم أي شيء...

بقـي ثلاثتهم واقفين بجانـب المقاعد. وكانـوا خائفين من التحرك لأن السيدة المدرِّسة كانت منزعجة .

- فليشـرح لـي أحدكم كيف حدث مـا حدث ؟ سألَـتْ تلاميذَ الصف من جديد .

عـم الهـدوء ، وحين أحسسنـا حسب اعتقـادي أن مئة سنة قـد مضت جاء فجأة صـوت تحرك مقعد أحدهـم على الأرض

الخشبيــة. استدرت. كان سامــو . نهض ببطء منكساً رأسه مثل صفصافة حزينة .

– أنا ، قال بصوت لا يكاد يسمع

– ماذا أنت ؟ سألته معلمة الصف.

– أنــا من فعــل ذلك ، كرر. ظننــت أن دفتري بقــي في البيت. أخــذت هــذا مــن حقيبــة «**ماكسـي**»، وحاولت محــو اسمه ، وتقديمه إليك ، ولكنـي حدثت نفسي وتراجعت قائلاً إن ذلك لــن ينفع، ولم أجد الوقــت الكافي لإعادته . بعد ذلك وجدت دفتــري في حقيبتي .فجــأة تغير كل شيء ولــم يبق كما كان عليه منذ قليل. حتى إني بدأت أشك بوضعي دفتر نباتاتي في الحقيبة عند الصباح .

الملاحظــة كانــت الأولــى ، وبعد ذلــك جــاءت الصدمة مع مرجريتــكا وكاتكا – وهل يمكنهما الوصــول إلى هذه الدرجة مــن السوء ؟ حتــى إن «**ميشا**»، وهــو أعز أصدقائــي نابه بعض التأنيب. أمر رهيب . أحسست بصداع في رأسي .

علــى الأقل بعد كل مــا حصل من توتر كانــت بانتظاري على الغداء فطائر القريشة التي أحبها.

هديـة

اشتـــروا لـ ميشا كلباً. أنا أيضـــاً أريد كلباً. أي نوع كان وليس مـــن الضروري أن يكـــون أصيلاً. أهلي يقولـــون إن الكلب يحتاج إلى من يعتني به مثل الطفل الصغير. قلت لهم إني سوف أعتني بـــه ولكنهم لم يصدقوا كلامـــي، وحسب زعمهم، سوف أمل من العناية به بعد أسبوعين أو ثلاثة، وماذا بعد ذلك ؟!

أمضيت ثـــلاث سنوات، وفي كل مرة أطفـــىء فيها الشمعات الموجودة فوق قالب الكاتو في أثناء احتفالي بعيد ميلادي كنت أتمنـــى أن يكون عندي كلب ! يقال إن هذه الرغبات تتحقق عند الإنســـان ... ولكن ذلك لم يحدث معي! على الأقل في حالتي لم يحدث هذا الشيء !

لقـــد تسلمه «ميشـــا» حين أحضر «الجلاء» قبـــل نهاية السنة الدراسية بأيام، وأنا سوف أحتفل بعيد ميلادي ولكني بالتأكيد لن أحصل على كلب. سوف يعطونني أشياء أخرى، أعرف ذلك لأني رأيت علبة على الرف في خزانة الثياب. إن أمي تضع الهدايا دائماً هناك. الكلب لا يمكن أن يكون هناك ، إلا إذا كان من المخمل. هذا ما ينقصني...! كلب على شكل لعبة! وهل أنا طفل صغير ؟

أخبرني «**ميشا**» أن «**باريك**»، وهذا هو اسم الكلب، لا يزال صغيراً، وحين يشرب من الصحن فإنه أحياناً يضع فيه كلتا يديه، حاول البارحة الإمساك بذيله. كان يدور خلفه ويلاحقه ولكنه لم يتمكن من إمساكه على الإطلاق حتى إنه انزعج وراح ينبح بشكل يشبه الصفير. إنه بني اللون، وعيناه بنيتان أيضاً ... قال «**ميشا**» .

- ألا تشعُ عينيه ؟ تدخل سامو في حوارنا متسائلاً. –تعرف ، تابع كي يزعجنا، إنني أسألك كي أعرف إذا لم يكن من نوع «**باسكرفلسكي**» المتوحش !!

- إنك تنكت مثل قطعة المعجون ، انتبه.

- أوه ، انتبهوا أيها الأولاد ، وخذوا كلام «**سامكو**» على محمل الجد. – تدخل «**يورو**» في الحديث .– لا يمكنكم أن تعرفوا أبداً ماذا سيحل بالكلب الصغير حين يكبر ، يمكن أن يتحول إلى قاتل رهيب ! لقد أجبر كلب «**باسكرفلسكي**» المتوحش الناس



بعينيــه المشعتين على الهروب إلى المستنفع والغرق هناك ، وكان ينبح بشكل مرعب : أووووو!

لقد نبح «**يورو**» بصورة جعلت الجليد يسري في ظهري.

لــم يتكاسل «**سامــو**» وتابع : ولــم يبق من أولئــك المساكين فــوق المستنقع سوى أرواحهم التي كانت كل مساء تنبح مع بقية الكلاب: أوووووو!!!

- كفــى توقــف ، لم يعد بإمكاننــا أن نسمع شيئــاً ! صرخت به «**مارجريتكا**» فجأة . – إنك تشاهد في التلفاز أشياء سخيفة وتؤلف بعد ذلك حكايات أسخف منها ! أضافت بعصبية.

أمر واضح، إنهم يخترعون. يحسدون «**ميشا**» لأنهم بالتأكيد يرغبــون في اقتنــاء كلب مثله ! ســوف يريني إيــاه «**ميشا**» يوم الجمعــة. سنذهب بعــد انتهــاء المدرسة إلى بيتــه وسنلعب مع «**باريك** ».

حيــن وصلت إلى البيــت أخرجت من الجــارور كتاب «**تربية وتربيــب الــكلاب**» . بــدأت أتصفحــه كــي لا أبــدو بالمقارنة مع «**ميشا**» إنساناً أمياً .

حتى ولو كنــت، وهنا أقول الحقيقة، قرأت هذا الكتاب ثلاث مرات، وأتقنت كل شيء يتعلق بالكلاب من الناحية النظرية، إلا إن الناحية العملية كانت تنقصني . . .

أثنــاء قراءتــي الكتــاب شعرت بالجــوع ، لهــذا توجهت نحو المطبخ .

- أوي- أوي- أوي .

مـن أيـن تأتـي تلـك الأصـوات ؟توقفت ورحـت أنصـت. أوي- أوي- أوي. إنهـا قريبـة . في البيت .إنها من هنـا بالتأكيد ! خطرت ببالــي كلمات «**سامكو**». الكلب الذي يعـوي، والأرواح - أوي - أوي- أووووي...

هل أكون جننت ؟ الأرواح بالتأكيد غير موجودة .!

- أوي- أوي- أووووي.

ولكني حقيقة أسمع هنا شيئاً ، وهو قريب ، قريب جداً .

بقيت واقفـاً بالقرب من الثلاجة ورحـت أتنصت .لم أرغب فــي الانحناء حتى إنــي حبست أنَفَاسي . بـدا الأمر وكأن شبحاً يطير مع الرياح ولاأتمنى أن يراني .

والدايَ كانا في العمل ، وأختي في الحضانة .كنت وحيداً في البيت .

- لو كان عندي كلب ! حدثت نفسي .

- لـو كان عنـدي كلب لما كنــت شعــرت بالخــوف، ولكني في الحقيقــة لا أخاف حين أكون وحدي ولكن لو كان عندي كلب لكان خوفي أقل .

- تررررن. سمعت صوت رنين جرس الباب. هل عليّ أن أذهب لأفتــح الباب ؟ كنت لا أزال واقفاً في مكاني بلا حَراك. ربما جــاءت أمــي ، ولكن لا، أمي معهــا مفتاح البــاب، ربما تكون مصيــدة الفأر ... هل أبتعد أو لا أبتعــد عن الثلاجة وأذهب لأفتح الباب؟

تشجعت وهُرِعْتُ مسرعاً باتجاه المعبر. كانت «مارجريتكا». طلبت مني مرافقتها في ركوب الدراجة .

نظرت إليها وقستها من رأسها حتى أخمص قدميها. شَكَّت في نظراتي.

- هل أنت مريض ؟ سألتني.

- شــيء هنا ينبــح. أشرت بيدي باتجاه المطبــخ . دخلت . عمَّ صمت في البداية ولكن كلانا سمع بعد ذلك :

أوي-أوي -أوووي ، جــاء الصــوت من خلــف الباب المؤدي مــن المطبخ إلى بيت المؤونة اقتــرب كلانا من الباب أوي-أوي -أوووي.

نظر أحدنــا في وجه الآخر وبقينا برهــة واقِفَيْنِ في مكاننا. ولكننا بعد ذلك قررنا التدخل .

فتحنا الباب ، وهناك ...

ياإلهي !

- هــل تدرون ماذا كان هنــاك ؟! إنكم بالتأكيد لن تصدقوني ! وجدت سلة من الخيزران بالقرب من إناء البطاطا و بجانبها جرو صغير !

هذا إذاً !

إنه لي بالتأكيد ...إنه هدية عيد ميلادي ... حملته بتأنٍّ بين ذراعيّ.

ارتجــف قليــلاً. لا تخــف أيهــا الصغيــر، ستشعر فــي بيتنا بالراحة، قلت له بصوت منخفض .

كان بطنه الصغير مبللاً.

أمسكته بإحدى يدي ، ورحت أمسد وبر ظهره الناعم بالثانية. حتى إن «**مارجريتكا**» شاركتني .

- إنه رائع ، قالت لي .
- يجــب عليّ أن أمسح البول من تحته. خطر ببالي، كي لا يغير والداي رأيهما .

وضعــت الجرو علــى بطانية دافئة في السلــة. استلقى عليها ودس رأسه بين طرفيه الممددتين. كان رائعاً حقاً .

مسحــت الأرض بخرقــة رطبة. بقي الجرو جالســاً في سلته فوق البطانية الدافئة مغمضاً عينيه.

- إنه يريد النوم، قالت «**مارجريتكا**» همساً.

ربما كانت محقة. أطفأنا الضوء وخرجنا إلى المطبخ وأغلقنا الباب من خلفنا .

- يجب ألا يعرف أهلي أني اكتشفت الأمر ، حدثت نفسي، لأنهم بذلك لن يشعروا بالفرح . سوف أنتظر ريثما يعطونني الجرو بنفسيهما كي تحدث مفاجأة.

إننـــي تفاجـأت بالطبع لأني فــي الأصل لم أكــن أتوقع منهم ذلــك، إلا أننـــي ضحكت قليلاً . قلت لو أني كنــت أملك كلباً لما شعــرت بالخــوف ، ولكني أنــا أيضاً شعرت بالخــوف ومن كلبي الصغير بالذات .

هذه هي الدنيا ، إنها ملأى بالمفاجآت ...

مقتفي الأثر

لقـد كبـر كلبي «**روني**» . إنـه ذكي جداً وبات يعـرف كثيراً . مثلاً يعرف إحضار العصا. غالباً ما نلعب معاً تلك اللعبة . إنني أرميها له وهو يحضرها لي في الحال محمولة بين أسنانه بسرعة فائقة. أمدحه بالطبع على الفور وهو يرد عليّ بهز ذيله.

لقد شاهدت فـي أحد الأفلام كلباً يمكنـه تقفي الأثر، وكان يساعد رجال الشرطة.

حيـن أعطـوه شيئاً ليشتمه مـن أثر رجل عجـوز ، تمكن من تقفي أثره والوصول إليه .

أظن أن «**روني**» يمكنه تعلم تقفي الأثر .

أخرجـت قطعة جبن من الثلاجة وخرجنا معاً. كان «**ميشـا**» بانتظارنا كمـا سبق واتفقنا لأني بحاجة إلى مساعدته . أمسك بـ روني في الوقـت الذي كنت أرسـم فيه علـى الرصيف خطاً بوساطـة قطعـة الجبـن . كان المفروض بـ رونـي أن يصل إلى مكان وجود قطعة الجبن .

بدأنا تدريب الكلب على تقفي الأثر .

أمسكـت قطعـة الجبن فـي يدي وقربتهـا من أنـف «**روني**» ليشتمها وقلت له :



- هيا ابحث !

كان المفروض بـ روني أن يتمشى على الرصيف باتجاه قطعة الجبـن الموجودة فـي مكان الهدف، ولكن لسبـب ما لم يحدث ماخططـت له .وفـي اللحظة التي قربت فيهـا قطعة الجبن من أنفـه، وبالرغـم من أنه اشتمهـا ، إلا أنه لم يتكاسـل، بلِ انقض عليها بأسنانه بسرعة البرق وسحبها من يدي .

– هـا– ها– ها ، جـاء صوت من المقعد، – ياله من كلب غبي !
إن هذا الصغير لن يتعلم في حياته .

واضح ، ومن يمكن أن يكون غير «سامو» ! إن ضحكه الساخر معـروف في صفنـا بأكمله. إنه يحشر أنفه فـي كل شيء . حتى «يـورو» راح يضحك هو الآخر معه دون تفكير، وبقي مستمراً في إطلاق ملاحظاته المزعجة.

– الغبـي هو ذاك الذي لا يتعلـم فحسب، و«**روني**» سوف يتعلم!
ردت «**مارجريتكا**» بقسـوة علـى «**سامو**» . لـم أعرف كيف وصلـت الفتيات بشكل مفاجىء . كـن يلعقن المثلجات وهذا يعني أنهن جئن من مخزن الحلويات.

– يجب عليّ تعليمه بالتدريج . دافعت عن نفسي وعن «**روني**» ، وهذا مكتوب هنا.

سحبت من جيبي نشرة تتحدث عن تدريب الكلاب ، وفتحت على الصفحة عشرين ووضعتها أمام «**ميشا**» وأمام بقية الفتيات أيضاً.

– روني سيتعلم بالتأكيد ، قالت «**مارجريتكا**» .

فرحـت بكلامهـا – وهنا أقـول الحقيقـة– «**رونـي**» لم يعط انطباعاً بأنه فهم ما نريده منه. لقد بدأنا الآن تعليمه ولا يمكن لأحـد أن يتوقع أنه سـوف يتعلم بسرعة كبيـرة وخلال ساعات قليلـة. الأمر يحتـاج إلى بعض الوقت وإلى الصبـر أيضاً. بدأنا العمل من جديد.

ذهــب «**ســامو**» برفقة «**يورو**» إلى مكان مــا بينما كنا نتدرب وينصح أحدنا الآخر بما يجب عليه فعله.

عاد «**سـامو** » بعد وقت قصير برفقة يورو مع كلبيهما ، وقالا إنهمـا سيرافقانــه إلــى المرج كي يــأكل العشــب ويحصل على الفيتامينات . لم نعرهما أهمية تذكر لأننا كنا منشغلين بعملنا.

أعطيــت «**روني**» هذه المرة قطعة من لحم الدجاج ليشتمها، ولكي أمنعه من أكلها أعدتها بعد ذلك إلى الكيس ووضعت الكيس في جيب بنطالي . حاولت جهدي جعله يلاحظ الأثر في العشب، ولكنه لم يتجاوب وبدأ يقفز عليَّ ويشتمُ بنطالي .

- أعتقد أنه قد تعب اليوم . سوف نتابع في الغد . قلت .
- أين يمكنه أن يكون ؟ سمعت من خلف ظهري صوت «**سامو**». استدرت نحوه .

كان «**سـامو**» ومعــه «**يـورو**» يبعـدان العشــب عـن الأرض ، ويبحثان عن شيء ما .

- هل فقدتما أي شيء ؟ سألتهما .

لــم يجبني «**سـامو**» على سؤالي، ولكن «**يورو**» قال لي بصوت حزين إنهما أضاعا كلب «**سامو**» .

قــالا إنهما تلهيا بالحديث برهة حين كان الكلب يأكل سيقان العشب وحين أراد «**سامو**» حمله لم يجده هناك .

بــدا «**سـامو**» حانقاً. لم أره بهــذا الشكل من قبــل. لقد كان شاهــداً علــى فشــل «**رونـي**» الأخير مــع قطعة اللحــم ولم يعلق

بشــيء، وهذا أمــر يصعب على «**ســامو**» تركــه دون تعليق. كان فــي تلك الأثناء يركــز اهتمامه على «**ماتســو** »، وهــذا هو اسم كلبه. كان يتمشي محني الظهر يبحث بين العشب وينادي كلبه.

- ماتسو ، أين أنت يا ماتسو!

«**ســامو** » طفــل وحيد لا أب لــه ، وليس له ســوى ذلك الكلب الصغيــر. إنــه يعيشــ مع والدتــه فحسب. كان يبحــث عن كلبه الصغير «**ماتسو**» تحت ساق كل عشبة ، وبدا لي في غاية الحزن حتــى إنــي تأسفت عليه. كنت أحب مساعدتــه ولكنه كان محقاً حين قال: إن «**روني**» لا يزال صغيراً، ومن ثم لا يمكنه بأي حال من الأحوال تقفي أثر «**ماتسو**»...

شاركت مع «**ميشا**» والفتيات في البحث عن ماتسو . تمشينا في المرج ونحينــا الأغصان الخضراء الطويلــة ، ولكننا فشلنا في العثور عليه .

كيــف يمكن لكلب صغير أن يركضــ ويختفي بهذه السرعة ؟ وإلى أين وصل ؟

أعترف بأني لا أعرف . كنت أرى «**ماتسو**» دائماً في القفص، ولم أره يركض هناك .

كان كلبي «**روني**» في تلك الأثناء يتحرك بيننا. يركض أحياناً نحوي ويقفز عليّ . أراد أن يلعب .

- انتظــر يــا «**روني**» ، لا وقــت عندي الآن كي ألعــب معك. إننا نبحث عن «**ماتسو**».

هــز «**روني**» ذنبه وتركنا. تعوَّد حيــن يعثر على شيء أن يقف ليشتمه، ويركض بعد ذلك إلى مكان آخر .

كنا لا نزال نبحث بهدوء عن «**ماتسو**» ، وقد مشطنا كل شبر من الأرض .

يبدو أن «**روني**» بدأ يشعر بالضجر من مرافقتنا. لذا وجدناه يهرع مسرعاً أمامنا .

- «**روني**» ناديته ، ولكنه حين سمعني زاد في سرعته.
- «**رونــي**»، «**رونــي**» ! صــرخ عليــه الآخــرون حيــن اختفى عن أنظارنا بين سنابل العشب الطويلة.
- «**روني**» !!! كررت صراخي من جديد. لم يحدث على الإطلاق أن تركني بهذا الشكل . لمتُ نفسي، ربما أكون قد طلبت منه كثيــراً حين أمرته بتتبع الأثر ، وبعد ذلك لم أوله ما يستحقه من عناية. هل يعقل أنه تركنا لهذا السبب ؟
- سألحق به. قرر «**سامو** » فجأة ، لأنه في النهاية سوف يضيع أيضاً مثل «**ماتسـو**». ركضنــا خلفه جميعاً. لمحناه مباشرة بعــد عدة أمتار خلــف سور من الصفصــاف، كان يقفز بين العشــب ويشتم شيئاً مــا، وأحياناً يدفعه ويلعقــه بلسانه. لم نعرف ماهية هذا الشيء.
- «**رونــي**» لا تفعل ! صرخت ، لأني خفت أن يأكل طعاماً فاسداً ويتسمم .

لم يهتم بكلامي .

وصلنا إليــه . رأيته يشتم جرواً كثيف الشعر . ياإلهي ...كان يشتم جرو «**سامكو**» !

كان «**ماتسـو**» منكمشــاً على نفسه وقد وضــع رأسه وطرفيه تحته من شدة خوفه .

- ماتسو ! صرخ «**سامو** »بفرح كبير .
- اتركه يا «**روني**» ، قلت ، وسحبته قليلاً نحوي .

رفع «**سامكو** » جروه الصغير وضمه إلى صدره .

- لقد تقفا روني أثره ! علقت «**مارجريتكا**» .

كلب جيد !

- ياله من كلب زكي ورائع ! «**روني**» الذكي ! مدحه الجميع .

قفز «**روني**» أمامي وأسند طرفيه على ركبتي .

نظر في وجهي وفي وجوه الآخرين وراح يهز ذيله بسرعة من شدة فرحه .

دغدغ «**سامو**» جروي من تحت رقبته وقال له :

- أشكرك أيها الصديق .

بالرغم من كل هذا .

أظنُّ بأن «**روني**» سيكون متقفي أثر جيداً !

حتى أصدقائي كان لهم الرأي نفسه.

لازالت العطلة الصيفية أمامنا ويمكننا التدريب !

وأنا أظن أيضاً بأني سأتصادق مع «**سابو**» و«**يورو**»

هذا ماأشعر به الآن ..

المحتويات

الصفحة

الطبعة الأولى /٢٠١٣م
عدد الطبع ٢٠٠٠ نسخة



www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٢٣٢١١٦٤
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٣م

سعر النسخة **٩٠** ل.س أو ما يعادلها